سلسلة
من علماء الإسلام
10

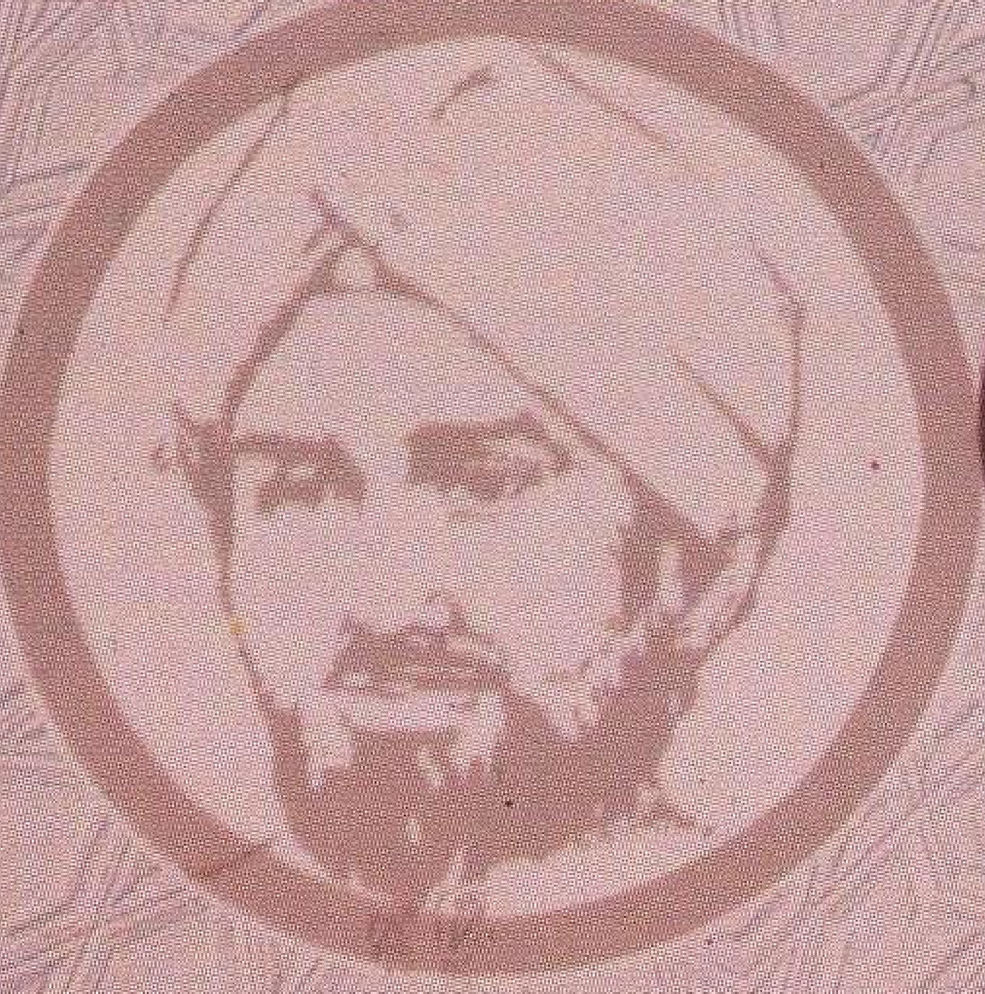

العز بن عبد السلام
(سلطان العلماء)

تأليف
إيهاب سعيد النجمي
أحمد سعيد النجمي

للطباعة والنشر و التوزيع

سلسلة من علماء الإسلام

١٠

العز بن عبد السلام

(سلطان العلماء)

تأليف
إيهاب سعيد النجمي
أحمد سعيد النجمي

اجتمع الأب الدكتور أحمد كعادته بولديه محمد وإيثار ليحكي لهما من قصص العلماء العظماء الذين غمروا الدنيا علمًا ونورًا ، بكل ما تركوه لنا من كتب ومخطوطات ومواقف وأقوال .

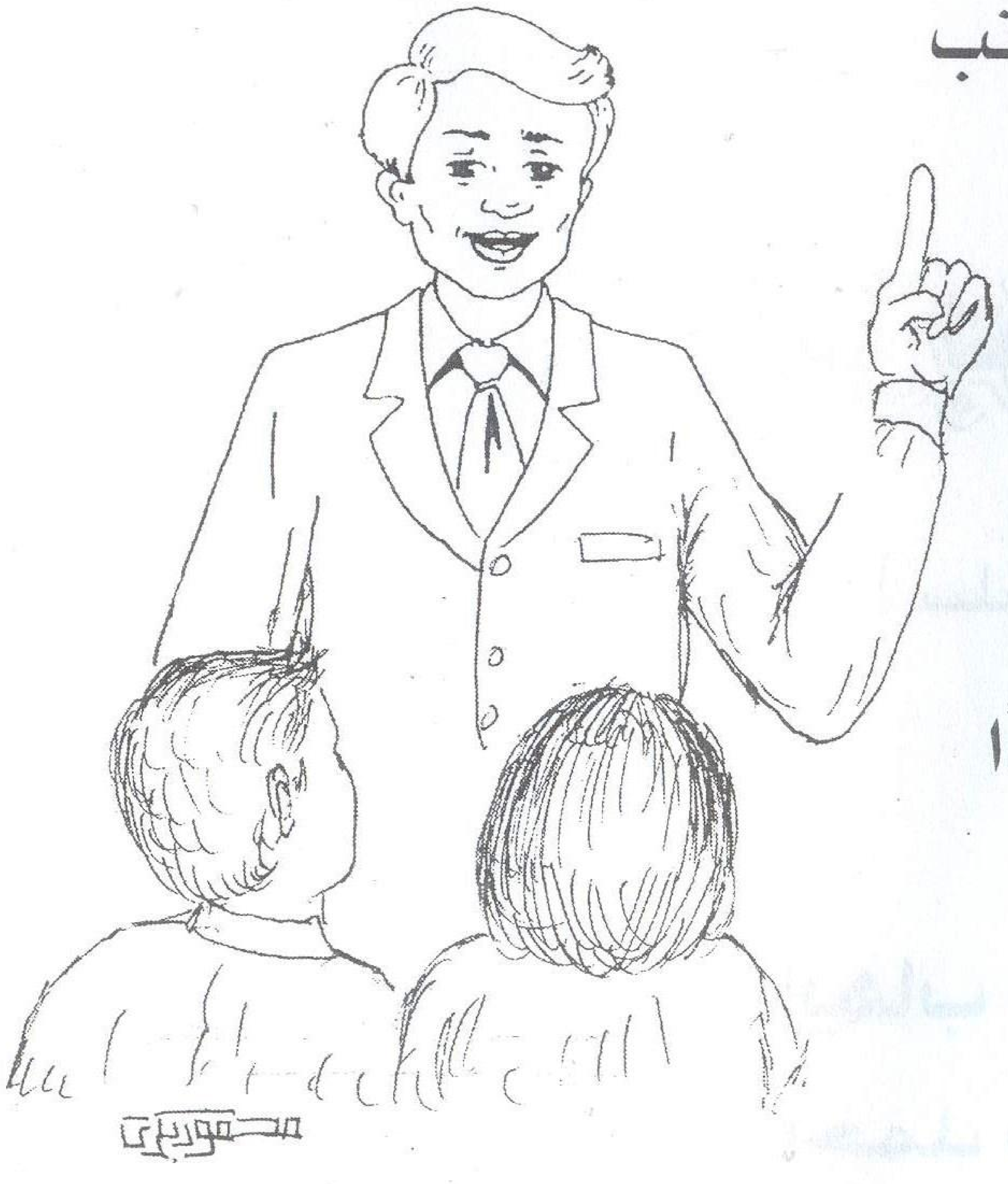

قال الأب الدكتور أحمد لولديه :

اسمع يا محمد وأنتِ أيضًا يا إيثار سأحدثكم الليلة عن شخصية هامة جدًا لها مكانتها وسط العلماء .

محمد : من هو يا أبي ؟

الأب : إنه سلطان العلماء يا محمد .

إيثار : سلطان العلماء ؟!! ، ومن هو يا أبي ؟

الأب : إنه العز بن عبد السلام .

محمد : احكِ لنا قصته يا أبي .

الأب : ولد العز بن عبد السلام يا محمد في القرن السادس الهجري ... وتحديدًا في سنة ٥٧٧هـ .

إيثار : وأين ولد يا أبي ؟!

الأب : وُلِدَ يا إيثار في دمشق .

إيثار : وما هي دمشق هذه يا أبي ؟

الأب : دمشق يا إيثار مدينة كبيرة في سوريا ولها تاريخ قديم وتعد من أقدم المدن ، وكانت هذه المدينة يا بُنيتي مقرّ الخلافة الأُموية ولها أثر عظيم ما زال موجودًا إلى يومنا هذا ، إنه المسجد الأموي .

محمد : وكيف كانت حياة العز بن عبد السلام يا والدي ؟

الأب : فتح العز بن عبد السلام عينيه

على الدنيا فلم يعرف فيها

سوى الحرمان والفقر ،

وسوء العيش فقد كان أبوه من أشد الناس فقرًا ، وعندما كبر الصبي أخذ يساعد أباه حتى يتغلبوا على متاعب الحياة . فكان العز يساعد أباه في بعض الأعمال الشاقة كإصلاح الطرق وحمل الأمتعة .

وكان من عادة والده أن يأخذه إلى الجامع الأموي إذا حان وقت الصلاة .

وفي ذات مرة رآه أحد مشايخ المسجد فأعجب به ودعا له ، وعندما مات أبوه لم يستطع الفتى أن يقوم

بالأعمال الشاقة التي كان يقوم بها والده فذهب يلتمس المساعدة من هذا الشيخ الذي أعجب به في الجامع الأموي ، وبالفعل عندما ذهب إلى الشيخ توسط له وألحقه بالجامع الأموي ليساعد الكبار في أعمال النظافة وفي حراسة أمتعة المصلين . وسمحوا له بأن ينام الليل في أحد جوانب الجامع وكان من خلال هذه الإقامة في المسجد يسمع ما يقوله الشيخ في حلقات ودروس العلم ، وذات يوم دسّ الفتى الصغير جسده النحيل في إحدى الحلقات فنهره الشيخ لأن ثيابه ممزقة ، فكيف يحضر درس العلم بهذه الثياب .

وهذا يا أبنائي يعلمنا كيف كان احترام هؤلاء الناس للعلم وللعلماء حتى إنهم اهتموا بصفة وهيئة طالب العلم التي يجب أن يكون عليها .

نعود مرة أخرى إلى العز بن عبد السلام فعندما نهره هـذا الشيخ ذهب العز غضبان أسفاً لأنه فَقَدَ حضور هذه الحلقة . وعلم الشيخ الذي أَتى به إلى الجامع الأموي بهذا الأمر فطيَّب خاطره

ووعده بأنه عندما يبلغ الشباب فسيحضر دروس العلم .

ومرت الأيام والفتى يقوم بأعماله في المسجد لا يكل ولا يفتر ينتظر الوقت الذي يأذن له فيه شيخ الجامع الأموي بأن يحضر دروس العلم مع باقي أقرانه وبالفعل حان ذلك الوقت الذي وجد الشاب نفسه بين طلاب العلم يسمع ويكتب ويتعلم ويحفظ القرآن الكريم والشعر والآداب والأخبار وغيرها من شتى أنواع العلوم .

ولم يكد ينتهي من الدراسة على شيخه وغيره من الشيوخ في جامع دمشق حتى أجازوه للتدريس ، وعرف الناس في ندوات دمشق شيخًا غزير العلم .

لم يقتنع هذا الشيخ بما أُوتي من علم فتعود أن يختلف [1] إلى مكتبة الجامع الأموي يقرأ كل ما تقع عليه عينه من معارف وعلوم مما أسهم في نموه العقلي والمعرفي السريع.

فما لبث أن أصبح شيخًا يقصده طلاب العلم ليأخذوا من علمه، وقصده الناس يستفتونه ولم يكن يبخل عليهم، وقد شاع في أقطار المسلمين ذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام . وكان الشيخ لا يتفرغ للفُتيا والتدريس فحسب وإنما ذهب إلى الأسواق والطرقات والمساجد

---

(١) يختلف : يذهب إليها باستمرار

يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في رحمة وحكمة وموعظة حسنة ، فكان مثالاً حيًّا للعالم الداعية الذي يبذل علمه ابتغاء وجه الله تعالى لا يخشى في الله لومة لائم .

وعندما دخل الصليبيون دمشق وعاثوا فيها فسادًا يتجولون فيها ويبيعون ويشترون في أسواقها اضطرب الناس وغضبوا غضبًا شديدًا فَهَبَّ الشيخ وترك حلقته بالجامع الأموي ومضى في الأسواق يفتي ويعظ الناس ويحذرهم من التعامل معهم ويحذرهم من البيع والشراء معهم فكان الشيخ شوكة في ظهورهم يؤرقهم ويقض مضاجعهم

وهذه المواقف التي صنعها الشيخ سببت له محنًا كثيرة مع السلاطين وغيرهم من حساده ولكن الشيخ ضرب للناس كلهم في هذا الأمر المثل الأعلى في التمسك بدين الله مهما كلفه هذا الأمر من نفسٍ ونفيس ، وعلى إثر هذه المحن والخطوب انتقل الشيخ العز بن عبد السلام إلى القاهرة في سنة ٦٣٩هـ بعد أهوال وخطوب وأحداث كثيرة .

وكان مَقْدِمُ الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى القاهرة يومًا مشهودًا في تاريخ مصر كلها فقد استقبله الناس بالبشر والترحاب كما يجب أن يُسْتقبل العالِم .

واستقر في دار له بالقاهرة وتولى القضاء فيها أكثر من مرة

وبعد فترة من تولي الشيخ للقضاء تفرّغ للتأليف في الفقه

والحديث والتفسير وغيرها من العلوم فألف نحو أربعين كتابًا .

ثم قضى الشيخ حياته كلها بين الدعوة

والجهاد وتأليف كتب العلم حتى

بلغ الشيخ الثالثة والثمانين من

العمر فطلب من أبنائه أن يأخذوا

بيده حتى يُلقي درسه في مكانه

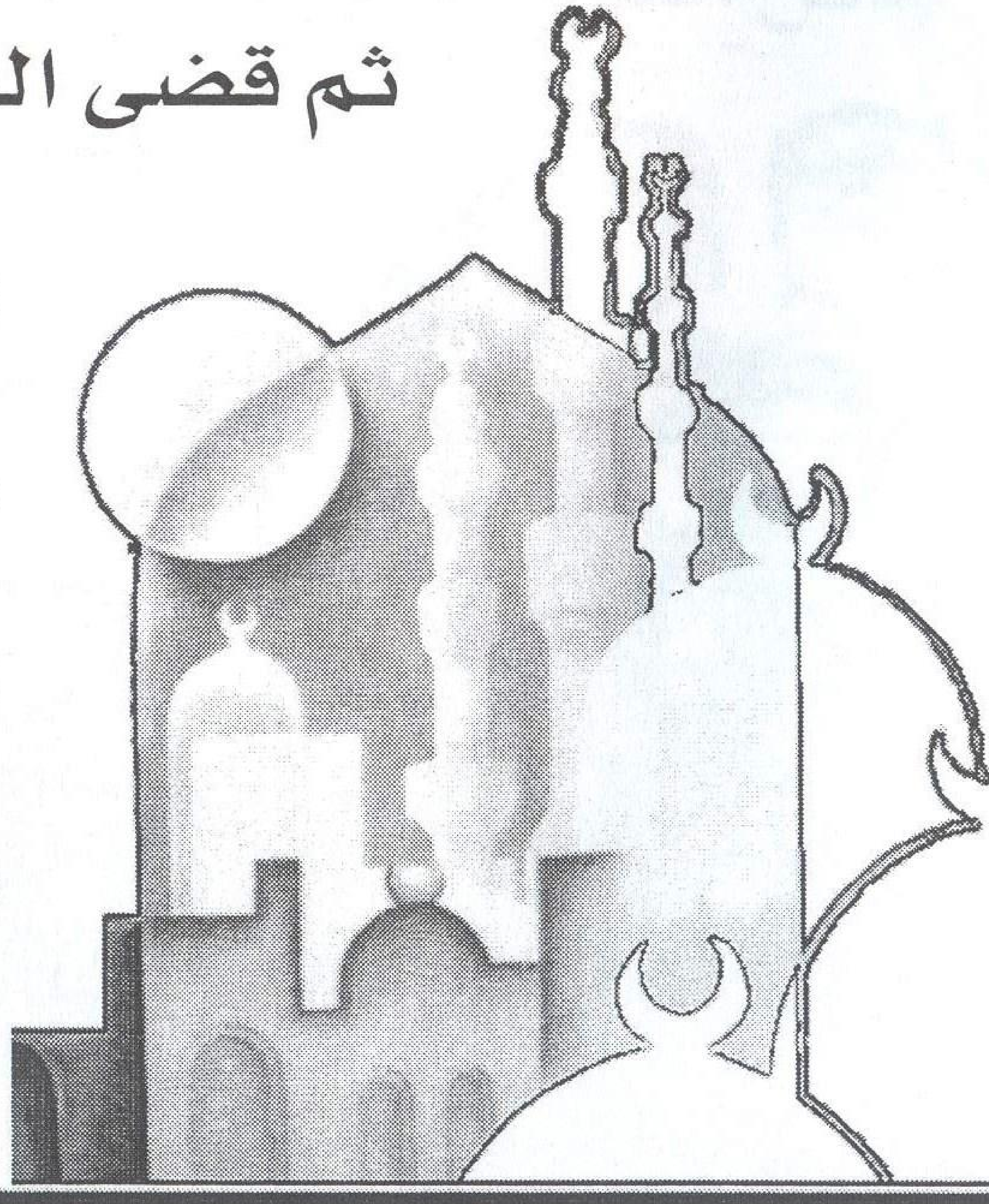

وكان شديد الضعف من المرض وأخذوه إلى مقرّ درسه وألقى درسه وكان هو الدرس الأخير في حياته فمات وهو يفسر الآية الكريمة ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (النور : ٢٤ /٣٥) .

مات هذا العالم الجليل في سنة ٦٦٠ هـ في القرن السابع الهجري ، وشيعته مصر كلها برجالها ونسائها وأطفالها وأمر السلطان الأمراء أن يحملوا نعش الشيخ

واشترك هو معهم في حمل النعش.

أما في دمشق فقد أُقيمت له جنازة ضخمة وصلوا عليه صلاة الغائب . ودفن الشيخ في سفح المقطم في مصر .

محمد : يا له من عالم نحتاج إلى مثله اليوم يا أبي .

إيثار : رحمه الله رحمة واسعة يا أبي .

الأب : آمين .. آمين